بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد بن عبد الله اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد فهذا بحث عن نقض دعوى عالمية النصرانية وإثبات عموم البعثة المحمدية، أدافع من خلاله عن ملتى، وأمتى. خاصة فى هذا الوقت الذى تداعت فيه الأمم على أمة الإسلام كما تداعى الأكلة على قصعتها. ولأسهم فى بناء لبنة فى الدفاع عن صرح العقيدة الإسلامية. فى وجه المخاطر المحلية والعالمية - التى تريد هدمها وزعزعتها فى نفوس المسلمين.

وغير خاف على المشتغلين بالفكر الإسلامى عامة وعلوم العقيدة خاصة ما يكيده أعداء الإسلام- لديننا الحنيف من التشكيك فى الوحى والنبوة.

وهؤلاء الأعداء قد نبأنا الله من أخبارهم وحذرنا من مكرهم، وشرورهم.

يقول تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥].

ويقول سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ

﴿إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة :١٠٩] .

وقد جادل المسلمون أهلَ الكتاب فى مسائل عديدة كان من بينها إنكار أهل الكتاب لعموم رسالة الإسلام التى جاء بها محمد ﷺ وقد استدل النصارى بآيات من القرآن الكريم حرفوها عن مواضعها ليستشهدوا بها زورا وبهتانا على أن دعوة الإسلام لا تلزمهم، ولا تشملهم؛ لأن القرآن نزل بلسان عربى ولأن محمدًا ﷺ لم يتكلم بألسنتهم.

أثار هذا قدماء النصارى وجادلوا بهذه الأباطيل علماء الإسلام كالقرافى، وابن تيمية، والخزرجى. . . وتبنى بعض النصارى هذه الشبه وأثاروها مرة أخرى فى العصر الحديث. . . ، وبينما هم يثيرون الشُّبه بالنسبة للإسلام تراهم يعملون فى غير كلل ولا ملل لنشر النصرانية فى أرجاء العالم على اعتبار أنها الديانة العالمية، وهى الدعوة التى يجب أن توجه إلى جميع أفراد الجنس البشرى كما يزعمون.

ولما وجدت دعوتهم إلى عالمية النصرانية وشبهاتهم حول خصوصية رسالة محمد ﷺ إلى العرب خاصة. وإنكار الكثير منهم نبوة محمد ﷺ. أردت أن أدرس هذ الموضوع دراسة علمية أحق بها الحق، وأزهق الباطل بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة. وآمل أن أسد ثغرة من الثغرات التي ينفذ منها أعداء الإسلام إلى العقيدة الإسلامية.

وقد جاءت هذه الدراسة على النحو التالى:

المدخل: تحدثت فيه عن التعميم والتخصيص فى الرسالات السماوية مستعرضا خطاب الله عز وجل للأنبياء مبرزا دعوة كل نبى لقومه خاصة

obeikandl.com

موسى و عيسى عليهما أفضل الصلاة والسلام مشيرًا فى هذا المدخل إلى ما اختص الله به محمدًا ﷺ دون سائر الأنبياء بإرساله إلى الناس كافة بالإضافة إلى ما اختص به من الفضائل الأخرى.

وبينت أن هذا راجع إلى فضل الله وعلمه: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وأشرت إلى أن إرسال كل نبى إلى قومه لا يقلل من شأنه ولكن لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى.

الفصل الأول: جاء بعنوان الديانة النصرانية بين اختصاصها لبنى إسرائيل وزعم عمومها لجميع الأمم، واشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: خصوصية رسالة عيسى عليه السلام لبنى إسرائيل من خلال بعض نصوص الأناجيل الحالية التى تتحدث عن خصوصية دعوة عيسى لبنى إسرائيل. وكيف أن المسيح عليه السلام لم يخرج عن دائرة اليهود من ناحية المكان بل على العكس كان يرفض دائمًا أن يتعامل مع غير اليهود فى الدعوة واستشهدت بما ورد فى إنجيل متى[1] عن المرأة الكنعانية التى طلبت من المسيح أن يشفى ابنتها وقد رفض ذلك معللا بأنه ما أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة حسب رواية إنجيل متى.

المبحث الثانى: تحدثت فيه عن مدى التزام تلاميذ المسيح بخصوصية رسالته لبنى إسرائيل، وكيف أنهم رفضوا تماما الخروج بدائرة الدعوة إلى غير اليهود بل واستنكروا على من فعل ذلك منهم... لأنهم كانوا يتبعون تعاليم المسيح التى توصيهم أن تكون دعوتهم لليهود فقط.

المبحث الثالث: بولس وعالمية النصرانية- ووصفت ذلك ببداية

(١) إنجيل متى الإصحاح ١٥/ ٢٢/ ٢٤.

الانحراف - إذ أن بولس بعد أن ادعى أن المسيح ظهر له على طريق دمشق وأمره أن يبشر بالمسيحية لجميع الأمم. كانت تلك البداية لتغيير دين عيسى عليه السلام كلية. ومن ثم توقفت كثيرًا عند تلك الروايات ونقدها حتى أثبت أن ما يترتب عليها من أفكار فيما بعد باطل نظرا لبطلان الأصل الذى استندت عليه هذه الأفكار.

ثم تساءلت كيف استطاع بولس أن يدعو غير اليهود إلى دعوته؟ واعتبرت أن هذا هو بداية دخول الوثنية إلى النصرانية.

ذلكم أن بولس حاول استرضاء من يدعوهم على حساب النصرانية بمعنى أنه أبقى على العادات الوثنية الموجودة عند غير اليهود من اليونانيين وغيرهم.

ليس هذا فحسب وإنما زعم لهم أن ما هم عليه هو ما يطلبه المسيح- وقد ضربت أمثلة متعددة على ذلك منها أنه أحل لهم الختان، واخترع لهم صلب وتأليه المسيح حتى يتمشى ذلك مع معتقداتهم الوثنية الموروثة لديهم - ليضمن دخولهم فى الدين الجديد الذى جاء به.

المبحث الرابع: مناقشة النصوص الداعية لعالمية النصرانية ونقضها.

ناقشت فيه نصوص الأناجيل الداعية إلى عالمية- النصرانية- مستعينًا بما فهمه العلماء من المسلمين والنصارى الغربيين الذين أثبتوا أن هذه النصوص على قلتها قد أضيفت للأناجيل فى زمن متأخر عن زمن كتابة الأناجيل، وأثبت أن كُتَّابَ الأناجيل قد تأثروا بأفكار بولس المبدلة، والمغيرة لدين عيسى عليه السلام... وأن الدين الحق الذى جاء به عيسى عليه السلام، قد بُدِّل وغيِّر لصالح بولس والوثنية- ونظرا لهذا

التغيير والتبديل كان لابد من الدين الذى يعيد الأمور إلى نصابها ويصحح ما عليه النصارى من عقائد باطلة- وقد تمثل هذا الدين فى الإسلام. الرسالة الخاتمة والذى اختاره الله للناس كافة وختمت بذلك الفصل الأول من البحث.

الفصل الثانى: إثبات نبوة محمد ﷺ وعموم بعثته.

المبحث الأول: إثبات النبوة ودلائلها، تحدثت فيه عن دلائل النبوة- متمثلة فى أخلاقه ﷺ وكيف آمن السابقون إلى الإسلام أمثال أبى بكر الصديق وخديجة بنت خويلد بسبب أخلاقه التى بلغت مبلغا كبيرًا- عبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم :٤].

ثم تحدثت بعد ذلك عن المعجزات كأحد الدلائل على نبوته ﷺ وكيف أن أعظم معجزة هى القرآن الكريم- وما اشتمل عليه من وجوه الإعجاز كإخباره عن المغيبات، وتكلمت كلمة موجزة عن إعجاز القرآن العلمى وإخباره عن أمور منذ خمسة عشر قرنا- بذل العلم الحديث جهودا كبيرة ليصل إليها فى العصر الحديث وأوردت نموذجا على ذلك- خلق الجنين وتطوره- وما فى ذلك من إعجاز. وذلك على سبيل الاستئناس فحسب...

وفى المبحث الثانى: تحدثت عن عموم بعثته ﷺ فأوردت نصوص الكتاب والسنة الصحيحة الدالة على ذلك واستأنست بفهوم علماء العقيدة وغيرهم حول دلالة هذه الآيات والأحاديث على عموم البعثة.

ثم تحدثت عن بشارة الكتب السابقة بالنبى ﷺ واقتصرت على البشارات التى تدل على عموم بعثته ﷺ.

obeikandl.com

وفى هذا المبحث تحدثت عن حاجة البشرية إلى الرسالة الخاتمة واستعرضت أحوال الأمم من العرب واليهود والنصارى والفرس وكيف أن الجميع كان فى قلق واضطراب والكل ينتظرون المخلص وكان هذا المخلص هو الإسلام. الذي جاء به محمد ﷺ كنبى ورسول خاتم للأنبياء والمرسلين.

ثم استعرضت بعض خصائص الرسالة التى جعلتها عالمية وخاتمة، وذكرت من هذه الخصائص- الشمولية، والوسطية واشتمالها على الشريعة العادلة- وأن هذه الخصائص لم توجد فى أى دين قبل الإسلام الأمر الذى ينفى عن الرسالات قبله صفة العالمية من الناحية الدينية، والعقلية.

وانتهيت إلى أن الإسلام هو الدين الوحيد المؤهل لقيادة البشرية إلى أن تقوم الساعة- وأنهيت بذلك الفصل الثانى.

الفصل الثالث: شبهات أهل الكتاب حول عالمية الإسلام والرد عليهم.

المبحث الأول: عرضت فيه شبهة فرقة العيسوية من اليهود وذكرت أنها فرقة وحيدة من اليهود. ليس لها كثير ذكر فى كتب الفرق والمقالات. وأوردت ردود علماء الإسلام على شبهات هذه الفرقة.

المبحث الثانى: شُبه النصارى قديمًا وحديثًا فى إنكار عموم بعثة محمد ﷺ.

تحدثت فى هذا المبحث عن أبرز شبهات النصارى والتى تمثلت فى أن النبى بُعث للعرب خاصة بناءً على أن القرآن نزل باللغة العربية ومن ثم

فالنصارى غير مطالبين بالإسلام وقد فندت شبهتهم وألزمتهم بما يدينون به على الرغم من أن لغة المسيح ولغة الإنجيل الأصلية لا يتكلمون بها ولا يعرفونها. ومع ذلك دانوا بالنصرانية وقدَّسوا الأناجيل وهى بغير لغاتهم.

وعرضت شبهة أخرى لهم تمثلت فى زعمهم أن كل نبى نزل بلسان قومه ولما لم يكونوا من قوم محمد فهم غير ملزمين بالإيمان به ويستدلون بآيات من القرآن الكريم يحرفونها عن مواضعها وقد رددت على هذه الشبهة- وأوضحت أن اللغة العربية هى أشرف اللغات ومن ثم نزل القرآن بها وبينتُ أن الرسول ﷺ نزل بلسان قومه وأنه من المستحيل أن يتكلم بألسنة جميع الخلق ولكن الترجمة تقوم بإيصال معانى القرآن وتعاليم الإسلام لغير العرب.

ثم عرضت شبهة أخيرة مفادها أن النبى ﷺ لم يفكر فى نشر العقيدة الإسلامية خارج الجزيرة وإنما الذين نشروا الإسلام هم خلفاؤه خاصة عمر بن الخطاب. وقد رددت على هذه الشبهة وبينت أن من يزعم هذا يخالف المعقول والمنقول والمتواتر من أن النبى ﷺ خاطب الملوك والأمراء من غير العرب خارج الجزيرة العربية داعيًا إياهم إلى الإسلام.

ورجعت إلى المصادر الأصلية فى هذا الموضوع، وأوضحت كيف أن النبى ﷺ أرسل إلى هرقل - عظيم الروم - والمقوقس- عظيم القبط فى مصر- والنجاشى - ملك الحبشة - وكسرى - عظيم فارس - وأوضحت كيف نازل الرسول ﷺ الروم خارج الجزيرة فى غزوة مؤتة، وغزوة تبوك.

ثم استعرضت آراء المستشرقين من أمثال توماس أرنولد- الذى أثبت بما لا يدع مجالاً للتقول بأن القرآن قد دعا من خلال آياته المكية الناس جميعًا للدخول فى الإسلام، وأن الرسول ﷺ. قد دعا الملوك والأفراد من خارج الجزيرة العربية، وقصدى من الاستشهاد بكلام توماس أرنولد- إنما هو الاستئناس فقط- وضرب المستشرقين بعضهم ببعض.

وقد حاولت فى هذا البحث أن أنصر دينى وأذود عن عقيدتى، مستخدما المنهج العلمى فى عرض الحقائق وإثباتها وأسأل الله أن أكون قد وفقت فيما هدفت إليه من إحقاق للحق وإزهاق للباطل.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

د/ فرج الله عبد البارى أبو عطا الله

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة

* * *

obeikandl.com

المدخل
حول التعميم والتخصيص فى الرسالة

اقتضت حكمة الله العليم الخبير أن يرسل إلى خلقه رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر :٢٤] .

فما من أمة من الأمم إلا وأرسل الله إليهم نذيرا هؤلاء الأنبياء والرسل منهم من ورد ذكره فى القرآن الكريم، ومنهم من لم يرد ذكره - لحكمة يعلمها الله - يقول تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء :١٦٤] .

ونحن غير مطالبين- بتحديد أسماء الأنبياء إلا ما ورد ذكرهم فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة- وقد أورد الله عز وجل أسماء بعض الأنبياء والرسل فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] . وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام :٨٣-٨٧] .

وفى قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم :٥٦-٥٧] .

وفى قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف :٦٥] .

وقوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [الأعراف :٧٣] .

وقوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف :٨٥] .

وقوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥] .

وأخبر الرسول ﷺ فيما صححه ابن حبان عن أبى ذر مرفوعا أنهم مائة وأربعة وعشرون ألفًا - الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر) [(١)] - صححه ابن حبان. وقد بلغ الأنبياء والرسل من الكثرة حدا كبيرا حتى يُقيم الله الحجة على عباده لئلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، ومعلوم أن أول الأنبياء آدم عليه السلام. وآخرهم محمد ﷺ- كما حقق ذلك التفتازانى شارح العقائد النسفية [(٢)] ونحن مطالبون بالإيمان والتصديق برسل الله وأنبيائه الكرام كأحد أصول الإيمان التى لا يتحقق إيمان المسلم إلا بها يقول تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة :٢٨٥] .

فالمسلمون من أمة محمد ﷺ يؤمنون بالأنبياء جملة ولا يسمون أحدًا إلا من سمى الله ورسوله فقط [(٣)] لأن النبوة لا تثبت إلا بالنص ولا تقبل إلا بالتواتر. كما حقق ذلك العلماء.

ولله الحكمة البالغة فى إرسال الأنبياء والرسل لضرورة بعثتهم وحاجة البشر إليهم فهم يأتون بما لا تستقل به العقول. مثل ما يجب لله من

(١) انظر فتح الباري ٦/ ٣٦١ كتاب أحاديث الأنبياء .
(٢) انظر شرح التفتازاني على العقائد النسفية ص ١٦٥ .
(٣) الفصل لابن حزم ج ١ ص ١٨٤ .

صفات الكمال وما يستحيل عليه من النقص، وما يجوز أن يتصف به، ومثل المعاد الجسمانى، وتعيين الحدود، وتعليم ما ينفع وما يضر من الأفعال، وكذلك معرفة تفاصيل الثواب للمحسن والعقاب للعاصى؛ لأن العقل فى هذه الأمور لا يرشد إلى النافع، والضار من الأعمال والأخلاق والعقائد، ولا يفرق بين الشقى والسعيد فكان من لطف الله بعباده أن يرسل لهم رسلا يبين لهم ما لا يستطيعون الاستقلال به بعقولهم[١].

والله سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته فيجوز أن يرسل الله عز وجل إلى قوم دون قوم ويجوز أن يرسل اثنين أحدهما إلى قوم والآخر إلى قوم آخرين فى وقت واحد كإبراهيم ولوط، ويجوز أن يرسل واحدًا إلى الكافة [٢] كما أرسل محمدًا ﷺ. مختصًا بذلك دون غيره من الأنبياء.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء :١٠٧].

ويقول عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ :٢٨] أى الرساله عامة لهم محيطة بهم والآية ظاهرة فى الاستدلال على عموم رسالته ﷺ [٣].

وقد أخبر النبى ﷺ عما اختص به عن جميع الأنبياء والمرسلين فيما رواه البخارى عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ قال: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من قبلى، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى المغانم ولم**

(١) انظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ١٦٤/ ١٦٥ والمواقف لعضد الدين الإيجي ص ٣٤٥، والمقاصد للسعد التفتازاني ج٢ ص ١٢٨ .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٦٣ .

(٣) انظر الكشاف للزمخشري ج٣ ص ٢٩٠ وروح المعاني للألوسي ص ٢١/ ٢٢ ص ١٤٢/ ١٤٣

تحل لأحد قبلى، وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» [١].

فهذا الحديث يقتضى أن كل واحدة من الخمس المذكورات لم تكن لأحد قبله وقد تتبع ابن حجر رحمه الله الحديث عن بعض الأنبياء مما يتوهم عموم بعثتهم يقول: «**ولا يعترض بأن نوحًا عليه السلام كان مبعوثًا إلى أهل الأرض بعد الطوفان لأنه لم يبق إلا من كان مؤمنا معه، وقد كان مرسلا إليهم ولأن هذا العموم لم يكن فى أصل بعثته، وإنما اتفق بالحادث الذى وقع وهو انحصار الخلق فى الموجودين بعد هلاك الناس. وأما نبينا محمد ﷺ. فعموم رسالته من أصل البعثة فثبت اختصاصه بذلك**» [٢] ولم يدَّع أحد عموم البعثة لأحد من الأنبياء قبل محمد ﷺ إلا ما كان من النصارى الذين زعموا عالمية رسالة عيسى عليه السلام مما يجعلنا نتكلم بكلمة موجزة عن:

خصوصية الرسالة لأنبياء بنى إسرائيل:

من الأمم التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم أمة بنى إسرائيل وقد أرسل الله إليهم أنبياء ورسلا. أنبأنا الله من أخبارهم، وقص علينا قصصهم بداية من موسى وهارون عليهما السلام ومرورا بداود وسليمان وزكريا ويحيى وانتهاءً بعيسى عليهم السلام.

كان هؤلاء الأنبياء والرسل يأمرونهم ويردونهم إلى الطريق المستقيم ويبدو أن بنى إسرائيل كانوا من أكثر الأمم التى أرسل الله إليهم أنبياء

(١) فتح الباري ج١ ص ٥١٩ .
(٢) نفسه ج١ ص٥٢٠ .

ورسلاً نلمح هذا من قول النبى ﷺ. عن أبى هريرة قال: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى وأنه لا نبى بعدى، وسيكون خلفاء فيكثرون. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم**»[(١)].

وإنما كثر الأنبياء والرسل لبنى إسرائيل، والله أعلم نظرا لعنادهم وشدة كفرهم يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة :٨٧].

فذكر سبحانه أنه أرسل إليهم موسى وأيده بالكتاب- أى التوراة وأيده أيضًا بالمعجزات الدالة على صدقه، وقد كثرت آياته لأن بنى إسرائيل كانوا أجهل الأمم وأغلظهم، وأبعدهم عن الصواب، وأبعدهم عن استدراك الحق- فحسب هذه الأحوال اقتضت الحكمة إيضاح الآيات والأعلام وتكثيرها لهم[(٢)].

وبالرغم من هذا كله قست قلوبهم وقتلوا الأنبياء وكذبوهم بغير حق يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة :٧٠].

ومن رحمة الله بعباده أن يرسل إليهم رسلا يذكرونهم إذا نسوا ويردونهم إلى طريق الله المستقيم إذا انحرفوا فإن الأمة إذا غيرت دين رسولها الذى أرسل إليها وبدلته أرسل إليها من يدعوها إلى الدين الذى

(١) فتح الباري ج٦ ص٥٩٤ كتاب أحاديث الأنبياء .
(٢) انظر إثبات نبوة محمد ﷺ .

يحبه الله ويرضاه كما أن بنى إسرائيل لما غيروا دين موسى وبدلوه بعث إليهم داود وسليمان ثم من بعدهم زكريا ويحيى عليهم السلام، ثم لما تزايد الكفر وتغيرت أحوالهم وشاع الإلحاد بعث الله تعالى عيسى عليه السلام بالدين الذى يحبه ويرضاه [١] بعد أن بلغ رسل الله الكرام بنى إسرائيل رسالة الله إليهم.

وقد أرسل الله عيسى عليه السلام ليكمل رسالة من سبقه من الأنبياء لبنى إسرائيل.

وكانت رسالة عيسى خاصة لبنى إسرائيل كرسالة موسى عليه السلام ورسالة غيره من الأنبياء لأقوامهم خاصة [٢].

يقول الله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران :٤٨-٤٩].

فالآيات تدل على أن عيسى عليه السلام كان رسولا لبنى إسرائيل خلافا لما ذهب إليه بعض اليهود من أنه كان لقوم مخصوصين منهم [٣] وخلافا للنصارى الذين يزعمون أن رسالته عامة للناس جميعا ولا يعدونه رسولا فحسب وإنما هو إله وابن إله عند الكثير منهم.

وتدل الآيات أيضا على أنه مكمل لما بدأه غيره من رسل الله الكرام- من قبله- ومن ثم كانت التوراة التى أنزلها الله على موسى عليه السلام

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٢ ص ٨٩ وإثبات نبوة محمد ﷺ ص١٦/ ١٧ .
(٢) انظر التفسير الكبير للرازي ص١٩/ ٢٠، ص٧٩/ ٨٠ .
(٣) انظر تفسير أبو السعود ج١ ص٢٦٢ .

هى نفسها كتاب عيسى بما فيها من تنظيم التعامل بين بنى إسرائيل بعضهم والبعض الآخر. ومضافا إلى التوراة الإنجيل ككتاب من عند الله منزل على عيسى عليه السلام متضمنا بعض الأحكام التى تحل لبنى إسرائيل ما حرم عليهم (١).

وبعد أن أوحى الله إلى عيسى عليه السلام تبليغ رسالته لبنى إسرائيل صدع بها مؤكدا على أنه رسول إلى بنى إسرائيل فقط. مصدقا للتوراة، ومبشرا فى الوقت نفسه بمحمد ﷺ.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الممتحنة :٦].

فالنداء هنا واضح والتخصيص بالرسالة إليهم لا لغيرهم لا لبس فيه. ولكن بعد هذا الوضوح. إذ باليهود يقولون: ما هذا إلا سحر مبين- وهذا ديدن المكذبين للأنبياء فى كل زمان ومكان.

ويتوقف **«أبو حيان الأندلسى»**- عند النداء فى هذه الآية لبنى إسرائيل- من قبل عيسى عليه السلام وبين النداء لهم من قبل موسى عليه السلام حيث يقول **«لما كان موسى من بنى إسرائيل قال: يا قوم. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾** [الممتحنة :٥]**أما عيسى فإنه ناداهم بـ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ من حيث لم يكن له فيهم أب وإن كانت أمه منهم»** (٢).

الخلاصة: أن عيسى عليه السلام كان مرسلا ومكلفا بتبليغ رسالة ربه

(١) ظلال القرآن ج١ ص٣٩٩-٤٠٠ .
(٢) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج٨ ص٢٦٢ نشر دار الفكر .

إلى بنى إسرائيل. وقد قام عيسى بواجب الدعوة إلى الله على الوجه الأكمل. فى مدن بنى إسرائيل وقراهم.. منذرًا لهم، ومبشرا فى الوقت نفسه بمحمد ﷺ. صاحب الرسالة الخاتمة والدين الجامع والدعوة العامة لكافة الناس.

وإن قيام عيسى عليه السلام بدعوة بنى إسرائيل وقصر دعوته إليهم ليس فيه أى انتقاص من شأنه ولا أى تقليل لرسالته فإن دعوة جميع الأنبياء كانت خاصة إلى أقوامهم وليس فى القرآن الكريم ولا فى أحاديث النبى ﷺ ما يشير أو يدل على أن رسالة الأنبياء أو أحد منهم كانت عامة، وإنما كل نبى أو رسول كان يدعو قومه فقط، باستثناء محمد ﷺ الذى كانت رسالته عامة للناس جميعا.

والقرآن الكريم يصرح بذلك يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح :١].

ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم :٤٧].

وكون الأنبياء خصوا بأقوامهم لا مجال للاجتهاد فيه أو الاعتراض عليه لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

فهو أعلم بأحوال الناس والبيئات. وقد كان رسالات الأنبياء - ومنهم أنبياء بنى إسرائيل - متناسبة مع الزمان والمكان آنذاك- ولهذا وجدنا جميع أنبيائهم لم تتجاوز دعوتهم بلاد العراق أو بلاد الشام أو بلاد مصر. أى أنهم لم يخرجوا من الأرض التى يسكنونها ولم يوجهوا دعوتهم إلا لأمتهم من بنى إسرائيل [١] لعلم الله أن شرائع الأنبياء ستنسخ بعد بعثة

(١) الرسالة المحمدية ص١٤٦ - السيد سليمان الندوى - مكتبة الفتح - دمشق - الطبعة الثانية ١٩٦٣.

محمد ﷺ وبالنسبة لعيسى عليه السلام فقد بلغ رسالة ربه ودعا بنى إسرائيل إلى وحدانية الله وعدم الإشراك به يقول تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة :٧٢] .

وبعد رفع عيسى عليه السلام . . . غُيِّر دينُه وبُدِّل وألحق برسالته ما ليس منها .

ومن الذين بدلوا وغيروا دين المسيح عليه السلام «**بولس**» (١) أو «**شاول**» فقد ابتدع ألوهية المسيح عليه السلام ولم ير فى رسالته إلا الصلب . . وقد حول رسالته من رسالة خاصة لبنى إسرائيل إلى رسالة عامة إلى الأمم كلها، ومن أجل نشر بدعته بين الناس حاول أن يأخذ كل جماعة على هواها . زاعمًا لهم أن ما هم عليه من عقائد لا يتعارض مع ما يدعو إليه .

وهلك من المسيح طائفتان- طائفة أحبته فغالت فيه وادعت له الألوهية وهم بولس وأتباعه- إلى اليوم .

وطائفة أبغضته- فكذبته ورمته بالسحر والجنون، ورموه وأمه بالفاحشة وهم اليهود ومن كفر بالمسيح .

وهناك طائفة- أخرى ظلت على رسالة عيسى عليه السلام . موحدة ملتزمة بتعاليمه- مبشرة بمحمد ﷺ . . . ولكنها اضطهدت وشردت واندثرت تعاليمها إلا القليل- وتم ذلك لصالح الوثنية . التى فرضت على

(١) بولس أو شاول ولد في طرسوس كان أبوه فريسيا يهوديا - وكان بولس يضطهد أتباع المسيح في بداية حياته إلى أن زعم أن المسيح ظهر له فرآه عيانا فتحول إلى الإيمان بالمسيح وبشر بالمسيحية في آسيا الصغرى والبلقان وإيطاليا وأسبانيا - انظر قاموس الكتاب المقدس .

النصرانية بقوة السلطان وإقرار المجامع لها.

وظلت الأمور على ما هى عليه حتى بعث الله محمدًا ﷺ بشيرًا ونذيرًا داعيًا الناس كلهم ومنهم اليهود والنصارى إلى الدخول فى دين الله الخاتم وهو الإسلام فآمنت طائفة به من أهل الكتاب وكفرت طائفة حادَّت الله ورسوله أما اليهود فقد كفروا ورفضوا أن يدخل أحد فى دينهم وأما النصارى فكفروا بمحمد ﷺ ولكنهم دعوا إلى دينهم وما زالت الطائفة التى كفرت برسالة الإسلام قائمة إلى اليوم وما زالت التعاليم المبدلة والمحرفة التى ابتدعها بولس هى السائدة إلي اليوم تمد بالمال لنشر المسيحية فى أرجاء العالم مدعية أنها تنقذ تعاليم المسيح مستندة على بعض نصوص الأناجيل فى دعوتها إلى النصرانية للعالم كله وسوف نناقش هذه الادعاءات فى المباحث القادمة إن شاء الله.

* * *

obeikandl.com